مكتبة تخصصية
تاريخ الإسلام والحضارة
١٣٣٠

المورد

ة تراثية فصلية محكمة

رها دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ جمهورية العراق

د الثامن والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

رئيس التحرير
الدكتور محمد عبد المطلب البكاء

الهيأة الاستشارية

الاستاذ هلال ناجي

أ . د . سامي مكي العاني

أ . د . محمود عبد الله الجادر

أ . د . عماد عبد السلام رؤوف

الاستاذ اسامة النقشبندي

مدير التحرير

د. هدى شوكت بهنام

سكرتير التحرير

د . مي فاضل الجبوري

التصميم والاخراج الفني

جنان عدنان

التصحيح اللغوي

نجلة محمد

☐ عنوان المراسلة

☐ دار الشؤون الثقافية العامة ـ الاعظمية

ص. ب ـ ٤٠٣٢ ـ بغداد

جمهورية العراق

في هذا العدد

اندلعت ثورة العشرين ، الثورة القومية ، العربية ، الشعبية إثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو ، فقد نشبت الثورة ضد الاحتلال البريطاني ، وضد سياسة التجزئة التي عمدت القوى الاستعمارية الكبرى الى تنفيذها ، وبذا تعد هذه الثورة واحدة من سلسلة الثورات التي شهدها الوطن العربي ابتداءً من عام ١٩١٩ تعبيراً عن رفض الامة العربية للاستعمار والتجزئة البغيضة والتي شكلت بمجملها انعكاسات استراتيجية واضحة على الصعيدين العربي والعالمي بعد أن أثرت في الموقف العام للاستعمار البريطاني البغيض في المنطقة ، وفي وضعه السياسي والعسكري في العالم ..

إن احدى أهم نتائج الثورة ، هو ماظهر من وحدة صف وطني في الدفاع عن حرية العراق واستقلاله على الرغم من كل المحاولات البريطانية الخبيثة التي كانت تعمل جاهدة على تغذية ما من شانه إحداث شرخ في صفوف أبناء الشعب الواحد الموحد .

وفي مواجهة الثورة ، حشد المحتلون البريطانيون أعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الاسلحة ، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوف المحتلين ، فقد ذهبت بعض التقديرات الغربية الى أن ثورة العشرين كلفت بريطانيا عشرات آلاف من القتلى والجرحى في حين قدر جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب) أنها كلفت بريطانيا ، فضلاً عن الاصابات أربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية .

ملف العدد : ثورة العشرين ص٣٧ ـ ٦١ .

الاسعار: العراق ٢٥٠ ديناراً، الاردن: ديناران، الامارات: ٣٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ثلاثة دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ درهماً.

المشاركة السنوية: ٥٥ دولاراً في الدول العربية، ٨٠ دولاراً في دول العالم الاخرى.

www.dorat-ghawas.com

ليچمن

القائد العام للصحراء

تأليف
هـ . ف . ف . ونستن
دور ليچمن في حرب العراق ومصرعه

عرض وترجمة
كاظم سعد الدين

تقديم :

لم تكن ثورة العشرين بنت يومها ولا وليدة حدث طارئ مرت بالوطن العربي والعراق . فقد كان للبريطانيين خبرة في تأجيج الصراع بين القبائل المتجاورة في الجزيرة العربية وأطرافها وقبائل اخرى في العراق . وليس هذا غريباً على سياستهم فقد مارسوا ذلك في الهند وفي افريقيا واميركا وغيرها من المستعمرات بارسال مبعوثين سريين الى كل طرف .

درس البريطانيون طبيعة البلاد العربية ، ومنها العراق وتاريخها وثرواتها ، وسر قوتها ، وضعفها ، وطبيعة الحكم العثماني وولاتهم ، وفتحوا ملفات للعشائر ورؤسائهم ، وللشخصيات الأخرى ، واحصوا ما يمتلكون من اموال وسلاح وأنفس طوال اكثر من مائة عام ، وصاروا يجددونها ، ويضيفون اليها كلما اقتضت الضرورة القيام بذلك .

www.dorat-ghawas.com

لم تكن في بلاد ما بين النهرين حكومة عربية طوال اربعة قرون من الحكم العثماني ولم يكن في الادارة حاكم عربي واحد ولا سيما في بغداد ، الا ما ندر ، ومنعت اللغة العربية في دواوين الحكومة . وخربت البلاد عمرانياً ، وزراعياً ، واندثرت مشاريع الري العريقة ، وتدهورت الثقافة وعمت الأمية وتناقصت نفوس العراق من ثلاثين مليوناً الى مالا يزيد عن مليونين نسمة عند اندلاع الحرب العالمية الاولى . ولم يكن الجيش العثماني الا جيش قمع وتنكيل وابادة ، ولم تكن الادارة العثمانية الا ادارة جباية ضرائب ، ومع ذلك فان القبائل العربية والمدن العراقية وقفت مع الجيش العثماني لا حباً فيه وإنما دفاعاً عن الدين والارض ولكن الجيش العثماني سرعان ما انهار وهرب في اغلب الجبهات ولم يصمد الا في الأماكن التي كان ابناء المدن والقبائل العربية سنداً يستبسلون في دفاعهم ، في الشعيبة ، الكوت ، النجف ، الشرقاط وغيرها من مدن العراق .

دخل الجيش البريطاني البصرة من جهة منطقة الكويت .... غازياً مستعمراً ، ولم يكن في العراق كما ذكرنا للعرب جيش ولا ادارة ولا مشاركة فيهما ، فهبوا وتكونت الجمعيات الثورية المسلحة من شمالي البلاد الى جنوبيها باسلحة بسيطة وقليلة وشجاعة عظيمة .

ولم تكن ثمة قيادة سياسية وعسكرية مركزية موحدة . وبرغم ذلك قاوموا الجيش البريطاني وعساكره من الهند وغيرها واسلحته المتطورة في حينها ، وقيامهم باستمالة بعض ذوي النفوس الضعيفة بالمحاربة الى جانبهم او الركون وعدم محاربتهم او مساندة الثوار . فاحبطت الثورة في اماكن متعددة على الرغم مما قام به الثوار من قتل قادة عسكريين بريطانيين امثال : كاولي Cowley قائد الباخرة في حصار الكوت وميجل Mitchell ورثورن Thorne والكابتن مارشال Marshal في النجف وبيرسن Pearson وويلي Willey وماكدونالد Macdonald في كردستان وبل Bill في الموصل ، وستة ضباط في البو كمال واربعة ضباط في تلعفر وغيرهم ، وتوجوا مآثرهم بقتل ليچمن Leachman في خان النقطة قرب ابو غريب في ١٢ آب ١٩٢٠ .

الف كاتب بريطاني اسمه هـ . ڤ . ف. ونستن . H . V . F Winstone كتاباً في سيرة ليچمن ، منذ ولادته حتى مصرعه واطلق عليه « ليچمن القائد العام للصحراء Leachman : OC Desert » وعرف الكتاب بانه حياة الكولونيل جيرارد ليچمن (١٨٨٠ ــ ١٩٢٠) القائد البريطاني في حرب الصحراء . نشر الكتاب في ١٩٨٢ م . وهو احدث كتاب عن ليچمن ، تتبع فيه حركاته في اصقاع مختلفة من افريقيا والهند والتبت والجزيرة العربية والعراق وارمينيا وايران ، وما قام به لتعزيز حركة الجيش البريطاني لاحتلال العراق ، وتوطيد قواعده العسكرية في أماكن مختلفة . ويتبين من ذلك ان المنطقة التي استقر فيها لم تكن واضحة ولا منقطعة عن بعضها بعضاً ولا سيما الفرات من الجنوب حيث المنتفك ، والشامية ، والنجف ، وكربلاء ، والكوفة ، والرميثة ، والحلة ، والرمادي ، وعانة ، والبو كمال حتى دير الزور . وحصل ما حصل ، كما سترى ، حتى قتل على ايدي ابطال عراقيين شجعان هم قدوة لابناء العراق اليوم في تصديهم لكل مستعمر طامع .

إنَّ ما نقدمه في هذا العرض الموجز عن حياة ليچمن ودوره التآمري في تهيئة سبل احتلال بريطانيا للعراق ، وايجاد الفرص المناسبة لذلك . يكشف بما لايقبل الشك حقيقة البريطانيين العدوانية في محاولة زرع الفتنة والشقاق بين ابناء الوطن الواحد تمهيداً لإحكام سيطرتهم المقيتة عليه .. وليكون هذا العرض عوناً للدارسين والباحثين الذين يتصدون لدراسة هذه الحقبة من تاريخ العراق الحديث .

وقد افدت في ايضاح بعض ما غمض بالرجوع الى كتب السادة محمد علي كمال الدين « الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ » وكتاب السيدين عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية والشيخ ضاري » والسيد عبد الجبار العمر « مصرع الكولونيل لچمان » ولا سيما مافي الكتابين الاخيرين عن مقابلة ولدي الشيخ ضاري : سليمان وخميس بصدد مصرع ليچمن .

ليچمن وتحركاته ودوره في حرب العراق

ولد جيرارد ايڤلن ليچمن في ٢٧ تموز سنة ١٨٨٠ وتخرج في الكلية العسكرية في سنة ١٩٠٠ ، وارسل الى كيپ تاون في جنوبي افريقيا للدفاع عن حدود الامبراطورية البريطانية الاستعمارية ولا سيما عن الاطماع الروسية ، واشترك في حرب

www.dorat-ghawas.com

البوير (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) التي نشبت بين البوير (المزارعين الهولنديين) والبريطانيين بعد اكتشاف مناجم الذهب والماس والنحاس واليورانيوم والمنغنيز وغيرها من المعادن النفيسة . كانت القوات البريطانية بقيادة روبرتس Roberts و لورد كچنر Lord kitcher . تدرب ليچمن في هذه الحرب التي خسرها البريطانيون في اول الامر ثم انقلب الوضع وغلب البريطانيون ، عندئذ صار البوير يشنون حرب عصابات ، دفعت كچنر الى ضربهم واعتقال النساء والاطفال ، وبناء سلسلة حواجز من المباني لفصل مناطق واسعة ، وراحت قواته تمشط المنطقة جزءاً جزءاً بحثاً عن الثوار ، فاجبروهم على الاستسلام وعقد معاهدة ٣١ أيار ١٩٠٢ .

افاد جيرارد ليچمن من تجربته في حرب البوير وطبّق كثيراً من أساليبها في الحرب ضد العراق ، واثرت تلك الحرب في مجمل تصرفاته واخلاقه ، فقد اختلط الهدوء والعزلة بالنشاط ، ونوبات الانفجار في المزاج والصمت الطويل .

وتوسمت فيه القيادة صفات لم تجدها في غيره فكلفته بمهمات سرية ما تزال مجهولة لدى عائلته ، وحتى الاستخبارات البريطانية . ولم يدون شيئاً عن حركاته وتنقلاته فظلت طي الكتمان .

نقل ليچمن الى البنغال واقسام اخرى من الهند ، واتصل بالماسونية وتعمق فيها . وفي ١٩٠٥ ارسل في رحلة تحرٍ الى التبت ثم عاد منها ، وارسل الى كشمير في ١٩٠٦ ، وفي ١٩٠٧ ذهب الى كراچي ، ومنها ذهب في اجازة الى بلاده فمر بجزيرة هرمز في الخليج العربي حيث سمع بالكابتن وليم هنري شكسبير W . H . Shake spear الذي سيكون له دور مهم في الجزيرة العربية .

ومن هرمز ذهب الى بوشير حيث الادارة البريطانية للخليج . وانتقل الى البصرة ، واتصل بعائلة لنچ Lynch ، اصحاب شركة البواخر النهرية بين البصرة وبغداد . وواصل رحلته الى الفلوجة ومنها الى عانة في طريقه الى حلب . وفي ١٩٠٧ وصل اسطنبول حيث علم بوجود نشاط دبلوماسي وعسكري للسعي الى التغلغل في البلاد العربية والقيام بتأسيس « مصادر » رسمية وسرية ، وعلم بوجود منافسة بين اميرين في وسط الجزيرة العربية للسيادة عليها ، وادعاء السلطان التركي السيادة عليهما . وعلم ايضاً بصراع الدول الاوربية على المنطقة العربية ، والتحركات السرية لبريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا والنمسا وقيامهم باستكشاف المنطقة .

ماذا ستفعل بريطانيا في هذا الخضم المضطرب الشائك ! ارسلت شابين هما ليچمن وشكسبير . والتقى الاثنان في اسطنبول بالملحق العسكري الكولونيل سرتيس Surtees وبعض الشخصيات الارستقراطية امثال الكابتن مارك سايكس Mark Sykes (شريك الفرنسي بيكو Gcorye Picot في تقسيم الوطن العربي في الاتفاقية المعروفة باسميهما) وكذلك جورج لويد Lloyd وجون لامبتن Lambton . ومن هناك رحلا الى بريطانيا وامضيا الصيف فيها . وعاد الاثنان الى الهند في خريف سنة ١٩٠٧ ، كل في طريقه الخاص به . وصل ليچمن في تشرين الثاني ١٩٠٧ ال راو لبندي ، واوكلت اليه مهمة خطيرة هي مراجعة ودراسة (٢٠٠٠) الفي ملفةسرية مؤشرة باسم « الجزيرة العربية » . اعدتها شركة الهند الشرقية طوال قرنين من الزمان . وكان شكسبير قد راجعها ودرسها قبل اربع سنوات . ولما استكمل ليچمن المعلومات وتشبع بها واستوعبها خلال عدة شهور في سنة ١٩٠٨ اصبح عندئذ حلقة وصل حيوية بين دوائر الاستخبارات العسكرية في لندن والهند . وهذا يلقي شيئاً من الضوء على مهمته السرية دونما معرفة بواطنها الخفية . وسوف يقوم هو وشكسبير بغزو الصحارى نفسها في منافسة علنية

وترتب على ليچمن دراسة اللغة العربية ، وزيارة كراچي ، ومسقط ، وبوشير والمحمرة ، ومسقط مرة اخرى ، والقيام بمهمات في بلاد محظورة رسمياً على الرحالة .

كانت مهمته الاولى الموكلة اليه ان يتعلم الاختلاط بالصديق والعدو ويعيش مع عرب المدن والصحراء ، ويميز بين اليهودي واليوناني والاتوري والارمني والتركي والكلداني في خضم الجماهير التي تموج في اسواق البصرة وبغداد ودمشق ، والف مدينة صغيرة بين تلك المدن الكبيرة . فان استكمل مهمته تلك واستعد لامر آخر فانه سيقوم بعدئذ برحلات اكثر حيوية في اراضٍ تقل فيها الاسواق ولا يجد من يحميه ، ولا حتى جندرمة (شرطة) عثمانيين .

جرى مسح المناطق البعيدة عن المركز عند بداية العقد الاول من القرن العشرين . وقد كان مارك سايكس قد سبق ليچمن بالقيام برحلات في سوريا والاناضول وكردستان في ايام دراسته في اواسط ثمانينات القرن التاسع عشر ، وكان يرافقه والده « تاتون » . Tatton وتلته جرترود بيل واشخاص آخرون مثل اوبري روبرت . وكانوا يقدمون تقاريرهم عما يجدونه الى الملحقين العسكريين والسكرتاريين في اسطنبول والقاهرة من طريق دوائر المستشارين في دمشق وفي تركيا نفسها . وقامت مجموعة اخرى من المحترفين باعمالهم التجسسية بذرائع شتى كالاستكشاف والمسح والحيل الاخرى .

وكان غيرهم من الدول الاوربية الاخرى يقوم باعمال تجسسية مكشوفة ، منهم اليهودي الالماني ماكس فون اوينهايم

www.dorat-ghawas.com

Oppenheim الاثاري المعروف بالجاسوس من القاهرة الى مسقط ، واليهودي البوهيمي الويس موزل ، Musil الاكاديمي المتميز ووكيل الاستخبارات الذي قام باستكشاف الصحراء العربية .

في ١٩٠٩ ذهب ليچمن الى بوشير لمقابلة بيرسي كوكس Percy Cox ولكنه لم يجده فقد كان مسافراً الى المحمرة ، فاستقبله آرنولد ولسن A . Wilson الذي قدمه الى زائر آخر على شاكلتهم ، هو ايلي بانستر سون E . B . Soane المعروف بجولاته السرية متنكراً بين الاكراد وقد استمتع ليچمن بصحبته . وقد بدأ هو نفسه يتعلم فنون التنكر والتخفي واخذه ولسن لمقابلة الشخ خزعل شيخ المحمرة ثم نوى ليچمن التغلغل الى معقله الثاني في المستقبل القريب . اما الآن فقد كان ملاذه في البصرة ، مارسيليا الشرق ، المشبع جوها بالمكائد . وانغمر في حياة المغتربين فيها ومباذلهم في بيت احد التجار الفرنسيين ، في رقص وشرب حتى الثالثة صباحاً بصحبة ثلاث نساء مشبوهات ، وامضى ايامه يمارس اللغة العربية .

ثم واصل رحلته الى بغداد التي وصلها في الثاني من كانون الاول ١٩٠٩ على احدى بواخر لينج . وفي بغداد التقى شخصيتين متميزتين من رجال الادارة البريطانية ، هما جون گورن لوريمر Lorimer (صاحب دليل الخليج) ، المقيم البريطاني المعين حديثاً بدلاً من الكولونيل رامزي Ramsy ، والشخص الآخر هو وليم ويلكوكس W . Willcocks ، مهندس الري المعروف ، واستمع الى احاديثهما عن الحكومة والحكام الذين اخفقوا في دفع رواتب الجند والشرطة ، في بلد كان البريطانيون والفرنسيون والالمان والايطاليون قد وضعوا قوانينهم الخاصة بهم والسير تحت شروط مواد « الامتيازات الاجنبية » المفروضة على السلطان خلال قرون من الاسراف والديون الاجنبية المتزايدة .

وواصل ليچمن الرحلة الى كربلاء حيث نزل لدى مجيد خان الامير الفارسي . وهنا سيكون مركز اعماله للاتصال بقبائل الفرات

في السنوات العشر المقبلة ، وفي الكوفة زار ممثل يهود بغداد الموالي للانكليز المدعو منشي دانيال . وفي الحلة زار مدرسة الاليانس اليهودية . ثم عاد الى لوريمر في بغداد في ايام عيد الميلاد ١٩٠٩ . وفي كربلاء عرّفه محمد حسن القنصل البريطاني بمبعوث بدوي ثقة وارسله الى الشيخ عبد الله من فخذ العبدة من قبيلة شمر التي تجوب البادية الشمالية للجزيرة العربية نيابة عن آل رشيد حكام حايل الذين اعترف البريطانيون بسيادتهم على حايل .

قام ليچمن برحلته متنكراً الى آل الرشيد في حايل في ١٣ كانون الثاني ١٩١٠ في ثياب عربية قذرة يرافقه دليل من بني حسن اسمه خضر بن عباس الذي كان بوسعه التنقل بين شمر واعدائهم بشيء من الامان .

وجرى اتفاق بين عدوين قديمين ، قبيلتي شمر والمنتفك تحت رئاسة ابن سعدون في القسم الجنوبي من العراق للقيام بغارة لاخضاع عدوهما المشترك ابن سعود وصاحبه مبارك الصباح . كان ليچمن مبعوثاً سرياً من بريطانيا الى آل الرشيد، حلفاء تركيا ، وكان في الوقت نفسه ، بريطانيان آخران في تلك المنطقة ، احدهما دوكلاس كاروثرز D . Carruthers متوجهاً الى الجوف ، والاخر شكسبير متوجهاً من الكويت الى الدهناء .

نشبت المعركة واغارت شمر على عنزه ، ونهبوا خيمهم وعددهم ، وكان شخص انكليزي آخر يروم الذهاب الى ابن رشيد هو كابتن بتلر S . S . Butler . وقد كان ليچمن حاضراً المعركة الى جانب عنزة وصور بعض مشاهد المعركة ثم ذهب الى خيمة ابن رشيد ومكث معهم خمسة اسابيع . وحدثت معارك اخرى اخبر شكسبير المقيم البريطاني عنها . واصبح مبارك تابعاً لبريطانيا .

رجع ليچمن وشكسبير بعد اجراء اتصالات باهم رؤساء الجزيرة العربية ، وكان لوريمر يرسم خارطة للجزيرة العربية لتكون دليلاً سرياً للمصالح البريطانية في المنطقة .

وتقررت مهمات ليچمن للذهاب الى الموصل وكردستان وارمينيا وسوريا وفلسطين . وقدم تقاريره الرسمية الى لوريمر في بغداد . فماذا كانت مهماته في تلك الجهات وبمن كان يتصل ولاي شيء تقتضي تلك المهمات انتقاله مباشرة من الجزيرة العربية الى كردستان وارمينيا ؟

كانت المنطقة العربية تمور بنشاط وكلاء الدول الاوربية . وصارت كل جهة تكتب عن نشاط الجهة الاخرى . فاخذ رجل المخابرات البريطاني في اسطنبول فيليب گريفز P . Graves يكتب عن نشاط مهندسي سكة حديد الالمان في العراق وسوريا بحجة التنقيب في بابل وآشور ووصلت بعثة نمساوية للقيام برحلة الى قلب الجزيرة العربية ، وكذلك بعثة هولندية ، لها صلات بوكلاء المان في كوبنهاكن ، لزيارة الجزيرة العربية من طريق الكويت الى الرياض ، معا اضطر الاستخبارات العسكرية في لندن والقاهرة للقيام بعمل دونما استشارة وزارة الحرب البريطانية .

اصبح ملف « الرحالة الى البلاد العربية » في القسم السياسي والسري في دائرة الهند ضخماً حين قام السفير الجديد الى الباب العالي العثماني جيرارد لوثر G . Lowther باخبار سكرتير الخارجية لدى فيتزموريس Fitzmouice عن شكوكه بصدد

www.dorat-ghawas.com

مؤامرات وكلاء فرنسيين والمان وصهاينة وحتى ماسونيين .

كان التعاون الحميم بين الجمعية الملكية البريطانية ووزارة الحرب في مستهل القرن العشرين قد يسّر عدداً من الرحلات السرية لاغراض جغرافية او اكاديمية مزدوجة ، وبهذا اعطت غطاء مناسباً للضباط للقيام بمهمات خاصة ، انها ذريعة استعملتها جميع القوى الكبرى .

ووجهت الجمعية الجغرافية الملكية دعوة الى ليچمن استحسنتها وزارة الحرب للقيام بزيارة مجددة الى الجزيرة العربية ، وهي ضرورية لمراجعة الخرائط القديمة لسوريا والجزيرة العربية في ضوء اكمال خطة انكليزية ــ فرنسية للحرب . وثمة حاجة ماسة ايضاً لفتح ملفات حديثة عن القادة العرب ، وتقرر ذهابه الى الرياض والقصيم . وصل ليچمن البصرة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٠ ، وحدثت امور غريبة بعد وصوله البصرة ، ولكن يجب النظر اليها على اساس نشاطات القوى الاوربية الاخرى في المنطقة . فقد قام في نهاية السنة الماضية شريف مكة بهجوم على ابن سعود . وكان ابناء شمر بقيادة ابن رشيد قد ساعدوا شريف مكة ولكن ابن سعود اعترف بسيادة شريف مكة مقابل اطلاق سراح اخيه سعد الذي وقع اسيراً في المعركة .

وفي آذار ١٩١١ التقى شكسبير ابن سعود على مشارف الاحساء ، وساله عن حقيقة اتفاق ابن سعود واعترافه بسيادة شريف مكة على نجد ، ولكن ابن سعود انكر وعلم شكسبير انه جرت مراسلات بعد المعركة بين جميع الشيوخ العرب ، وبضمنهم شريف مكة ــ وزامل رئيس حايل بالوصاية على ان يقوموا بانتفاضة ضد القوة العثمانية وجاء اقتراح للقيام بانقلاب عربي من الضباط المرب بالدرجة الاولى العاملين في الجيش العثماني ، الذين شكلوا جمعية ثورية باسم «العهد» مقرها في دمشق ولها اعضاء مهمون في بغداد والبصرة .

ذهب ليچمن بعد وصوله البصرة الى الكويت لمقابلة ابن سعود قبل مفاتحة الالمان له . ولكن المقابلة تعرقلت . فذهب الى الهند وبقى فيها حتى آذار ١٩١٢ . ثم ذهب الى انكلترة في اجازة وعاد قاصداً الجزيرة العربية . وكان جميع المسؤولين البريطانيين في دمشق والهند وغيرهما يجهلون مهمة ليچمن . وبعد لأي وصل ليچمن لمقابلة ابن سعود مبعوثاً سرياً من لندن بصدد المحادثات الانكليزية التركية لعقد معاهدة تعترف فيها بسيادة تركيا على اواسط الجزيرة العربية واعتبار ابن سعود ملكاً على المنطقة . ولما كان ليچمن سائراً في المدينة مع ابن سعود ، سأل احد الشيوخ عبد العزيز :

لماذا تكرم وفادة هذا النصراني بمثل هذا النحو ؟ فاجابه ابن سعود : ان اي انكليزي ، سواء أكان نصرانياً ام لم يكن فانه صديقي ، وهو أعز عندي من كثير من مسلمي المذاهب الاخرى .

وغادر ليچمن الرياض الى البحرين وذهب الى القنصلية ليقدم تقريراً الى الميجر (تريفر Trevor) ولكنه لم يجده ، فقدمه الى صديقه ماكفيرسن Mc Pherson الذي كانت له مصالح تجارية في البحرين وفي البصرة ايضاً .

وفي سنة ١٩١٣ قرر الضباط العرب في دمشق وبغداد القيام بانتفاضة واعلان الاستقلال ، ولكن عملاء فرنسيين سريين كشفوا خطة الثورة واحبطوها .

في ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب . وفي كانون الثاني ١٩١٥ ارسل شكسبير في مهمة الى ابن سعود طلباً لمساعدته الحلفاء . واشترك شكسبير مع الجيش السعودي في معركة ضد ابن رشيد ، حليف الاتراك فقتل عند تل جرب وعيّن ليچمن خلفاً لشكسبير . ثم عين بعد ذلك للعمل في العراق فركب باخرة سارت في شط العرب في صباح ١١ آذار ١٩١٥ ، وزوده الحاكم السياسي العام في البصرة ، پرسي كوكس بتعليمات اساسية .

دخلت بعض القوات البريطانية العراق من منطقة الكويت الى جنوبي العراق بحجة حماية النفط في المحمرة ، وكان الاولى ان يدخلوا المحمرة وعرف الاتراك بذلك ولم يفعلوا شيئاً لاعاقة تقدم تلك القوات . واحتلت القوات البريطانية الفاو ودخل الجيش البصرة في ٢٢ تشرين الثاني واعلن پرسي كوكس لاهل البصرة بان البريطانيين جاءوا اصدقاء وحلفاء ، وان دينهم واماكنهم المقدسة ستكون محترمة ، غير ان قبائل [الاحواز] قد التحقت بقبيلة بني لام وكان يقودهم غضبان البنية الشديد البأس ، وقاموا بغارة على انابيب النفط في الاحواز .

وكان ثمة خطر آخر على جناح الجيش البريطاني الايسر في ما وراء الفرات حيث اتحاد المنتفك القبلي تحت قيادة عجمي السعدون ، وكان ليچمن خصماً لدوداً له . وكانت مجموعة كبيرة من الجواسيس البريطانيين في العراق امثال كامپيل ثومپسن ولورنس و وولي وجربون وگريگسن .

سعى ليچمن للعمل في الاستخبارات المدنية والعسكرية ولانشاء شبكة خاصة به بين المرب [على غرار ماكان البريطانيون يعملون في الهند] . وصار ليچمن مسؤولاً عن تهدئة بعض القبائل من القيام باعمال ثورية ضد القوات البريطانية وعدم تعاونهم مع القبائل الثائرة وراح يعمل وراء خطوط الاعداء عند تقدم الجيش البريطاني الهندي نحو بغداد ، فاستأنف علاقاته القديمة باصدقائه في البصرة ، ولم يكتف بذلك فقد

www.dorat-ghawas.com

اغراء الاطفال بالحلويات لجمع المعلومات ، وكذلك بعض مجموعات من الشباب الذين استطاع ان يكسب ثقتهم به .

وحاول فك الحصار في الكوت واستطاع ان يفلت من الاسر هو و ٥٠٠٠ جندي ودليله خضر بن عباس وخادمه الهندي الشاب حسن ، بعد ان تنكر ليچمن كالمعتاد بملابس عربية وتغلغل في صفوف الاتراك . ولكن القبائل العربية بين العمارة والكوت كانوا يعرقلون سير قطعات الجيش البريطاني ويقطعون خطوط الهاتف . ويطلقون الرصاص عليهم ويقتلونهم . تكبد الجيش البريطاني في عمليات حصار الكوت خسائر قدرت بعشرات الالاف من القتلى والجرحى . ولم تجد محاولات فك الحصار نفعاً برغم جهود كثير من الشخصيات والقادة البريطانيين ، واستعانوا بشخصيتين عربيتين كانا في البصرة آنذاك هما الدكتور الشابندر ، ونوري السعيد الضابط في الجيش العثماني الذي قدم خدماته للبريطانيين .

وقتل الضابط القدير كاولي وهو يقود باخرة تحمل ٢٧ طناً من المؤن الى الجيش البريطاني المحاصر ، واسر ملاحوها . وبكى عليهم ليچمن وهربرت Herbert . A وبيج Beach وهم واقفون على ضفة النهر ناظرين الى الباخرة المأسورة .

واستسلم تاونسند Townsend بعد حصار دام ١٤٧ يوماً . وقاد ليچمن كلًا من هربرت ولونس بين صفوف الاعداء للاجتماع بخليل باشا ، قائد الجيش التركي . فقال احد الاتراك لهم : لماذا لا نكف عن قتل بعضنا بعضاً ونقتل المرب بدلًا من ذلك ؟ فوجد هربرت الفكرة جيدة ولكن ليچمن لم يكن يحب التحالف مع الاتراك او المرب .

بعد ذلك وجد ان الوقت قد حان لاعادة بناء الجيش البريطاني المشتت في العراق ولا سيما في هذا الخضم من الاطماع والمؤامرات والمعارك .

ورأى ان الحرب ستبدأ مجدداً ، لذا فعليه العودة الى اماكن تردده السابقة في الصحراء لبناء سلسلة مواقع لجمع المعلومات وانزال العقوبات باولئك الرجال والشيوخ الذين سلبوا ابناء بلده في محنتهم ! فاختفى طوال سنة ١٩١٦ وقد لبس العباءة والكوفية العربيتين ، ومعه غلامه الهندي حسن الذي كان يرسله بالمعلومات الى المقر العام بين حين وحين لاطلاع القادة .

وقد كتب احد الجرحى قائلًا : كان ليچمن على اتصال بالهيئة القيادية بوصفه ضابطاً سياسياً وضابط استخبارات ، وقد علمت قبل الكارثة التي حلّت بنا في اثناء تقدمنا الى بغداد ان استخباراته ممتازة ، واخبر نكسن Nixon عن عدد القطعات المعادية بالضبط وحتى اسم كل كتيبة ، ولكن نكسن لم يصدقه ، فوقعت الكارثة ، فقد كان ليچمن قادراً على التحرك بين العرب بحرية تامة ولا يضايقه احد .

ثم ذهب ليچمن الى المحمرة . وكانت مهمتهُ هذه المرة فرض حصار صحراوي على الاتراك في اثناء اشتراك جيش مود Naude بالمعارك في الاراضي الاعتيادية بمحاذاة دجلة في طريقه الى بغداد . اصبح ليچمن القائد العام للصحراء OC Desert ، ولكن بلا جيش ، وقد استعان الاتراك بقادة المان مثل پروسير Preusser على طول نهر الفرات .

في ٩ تشرين الثاني ١٩١٧ انطلق ليچمن في ما رآه مهمة صغيرة لـ « عقاب العرب » : فكتب الى اهله رسالة قائلًا : جمعتُ (٦٠٠) خيال عربي من الفرسان الاشداء ، عبرت بهم الجسر في شيخ سعد ، ووصلنا مخيم عرب معادين لنا على بعد خمسين ميلًا وطوقناهم واستولينا على (١٠٫٠٠٠) رأس غنم ... واصاب الاعداء (٣٠٠) من فرساننا . قطعنا نحو (١٠٠) ميل فلم يبق من الغنم سوى (٢٠٠٠) رأس في خلال (٢٤) ساعة .

جاء طيارون فرنسيون لنجدة القطعات الانكليزية وحمايتها ولكنهم كانوا يخشون الطيران فوق الصحراء لئلا يمزقهم المرب اربا اذا ما اضطروا للهبوط .

اصبح ليچمن قائداً قبلياً معترفاً به . قال عنه تيننت Tennant ، عاش ليچمن في الصحراء طوال العام في ملابس عربية ، متجولًا مع غلامه حسن بين القبائل ، ساعياً في اثر الاتراك ، يقوم بالتنظيم وفرض القوة لاخضاع بعضهم ، والحصول على المعلومات المهمة . كان رأسه مطلوباً ، وعاش وهو يحمل حياته على كفيه ، فقد جرت ثمان محاولات جريئة في ثلاثة اسابيع لقتل ليچمن بعد مطاردته قبائل الفرات . وقد جاء الى شثاثه بسيارته المحملة بقنابل ملز ومعه خادمه حسن ، فقد كان فيها بعض جيوب المقاومة ، بقي خادمه في السيارة ، وحمل هو بعض قنابل ملز في جيوبه وبندقية اوتوماتيكية . وتوجه الى ساحة القرية حيث ترتاح القوافل المتوجهة الى الشام وتطعم حيواناتها وتسقيها الماء . ولما اقترب اطلقت النار عليه من عدة زوايا فاضطر الى التراجع . وكان شاب عربي على سطح احدى الدور قريباً اليه ، وكان الرمي على ليچمن عشوائياً . وواصل الشاب على سطح الدار الرمي ولكن لم تصبه اي رصاصة ، فنزع ليچمن مسمار قنبلة واقترب ثم رمى القنبلة على السطح فتفجر البيت والقناص .

وفي شباط ذهب الى البصرة لتلقي التعليمات النهائية عن الحملة التي ستحقق الهدف المنشود .. ثم ارسل الى القاهرة حيث التقى سلطان مصر في قصر عابدين وقادة انكليز مرموقين ثم ذهب الى الحجاز حيث اجتمع في (رابغ) و (الوجه) بفيصل

www.dorat-ghawas.com

ولورنس وقد شكك لورنس باخلاق ليچمن لملاحقته خادمه دون هوادة مما اثار فضيحة في المعسكر فاضطر الى وضعه في سفينة وابعاده الى القاهرة .

وفي اثناء غياب ليچمن عن العراق قتل اثنان من اصدقائه القادة في العراق هما « ميجل » و « ثورن » .

ونقل ليچمن بعدئذ من العمل العسكري الى إمرة بيرسي كوكس للقيام بمهمات سياسية ، ولا ينكر احد من الانكليز انه الرجل المناسب للمناطق الصعبة .

وحدثت اضطرابات في كربلاء فعاد اليها واقام مقره فيها مع « رودويل Radwell » . جاء الى البادية التي اعتادها خارج كربلاء حيث التقى فهد الهذال اول مرة قبل عشر سنوات . واستأنف حياة التجوال على فرسه ، وكان المسؤول الوحيد اغلب سنة ١٩١٨ عن منطقة شاسعة من بادية الفرات ، جنوبي النجف الى الرمادي في الشمال ، وكانت المنطقة تغلي بثورة غير معلنة .

وفي ٢١ آذار ١٩١٨ قتل الكابتن « مارشال » ، الحاكم السياسي في النجف . سمع مارشال صوت اطلاق رصاص من بندقية خارج بيته ولما فتح الباب ليرى ماذا يجري ، اطلق الرصاص عليه من قرب وقتل واصيب ضابط آخر جاء لنجدته .

ولكن السيد محمد علي كمال الدين في كتابه الثورة العراقية الكبرى يذكر حقيقة مقتل مارشال . فقد قرر حزب النهضة الاسلامية السري قتل الحاكم السياسي مارشال . دعا الحاج نجم المعروف بالبقال رئيس احدى كتل الحزب الثلاث ، دعا الجناح الفدائي الذي اتفقوا على تسميته بالجناح الدموي . وكان عددهم مئتي شاب مسلح ، حضر نحو مئة عضو اختاروا عشرين رجلاً وبقي الآخرون قوة احتياطية وقاد الحاج نجم البقال الفرقة الفدائية في الساعة الواحدة بعد منتصف ليل يوم ١٩ آذار سنة ١٩١٨ ، اقتحموا السراي بعد قتل الحارس الهندي بخنجر محسن ابو غنيم . وتوزعوا مفتشين حجرات السراي ولكن الكابتن مارشال والطبيب وضابطاً آخر كانوا نائمين على اسرة في وسط ساحة السراي . صوّب الثلاثة مسدساتهم الى المهاجمين واصابوا بعضهم ، وسرعان ما اصلى الحاج نجم وجماعته الثلاثة بنيران اسلحتهم واجهز الحاج نجم البقال بنفسه على مارشال وارداه قتيلاً .

حل محل مارشال الميجر بلفور حاكم الشامية وجرت محاولة اغتياله الا انه نجا من القتل . وجرد الثوار في النجف بعد مقتل مارشال من اسلحتهم وحوصرت النجف خمسة واربعين يوماً وفرضت شروط قاسية على المدينة للاستسلام .

وتشكلت محكمة برئاسة بلفور وعضوية ليچمن وضابطين آخرين ومترجم مصري اسمه جاد غاوي . اصدرت حكمها في مايس ١٩١٨ باعدام احد عشر شخصاً ونفذ الحكم في ٢٠ مايس وكان اولهم الحاج نجم البقال . ونفي كثير من الثوار الى خارج العراق .

كان ولسن الذي تولى الادارة المدنية من وليم ويلكوكس ، قد كلف ليچمن بمسؤولية تعقب القاتلين . واستفاد ليچمن من سور المدينة في حصارها في الوقت الذي كان يجوب البادية متنكراً ، كشيخ من الشيوخ ، مفتح العينين والاذنين ، من اجل معرفة قتلة مارشال . وجرت محاولة اغتياله من شخص كان في احدى بساتين المسيب في اثناء مروره من هناك .

كان ليچمن يختفي في حياة البادية ولا يعلم عنه احد شيئاً واذا صدر طلب عاجل بحضوره الى بغداد فانهم يرسلون مبعوثاً خاصاً للاتصال به .

في ربيع ١٩١٨ . علمت الاستخبارات البريطانية وجود اتفاق بين شيوخ بغداد والفرات للقيام بعصيان مسلح ، بتحريض من جمعية العهد ، وجمعية الفتح في مصر بتمويل مما كان يدفع من كميات كبيرة من الذهب الى شريف مكة واولاده لمساعدتهم في محاربة الاتراك والالمان .

لما عاد ليچمن الى النجف من بغداد في شباط ١٩١٩ ، اخذ ١٢٠ فارساً من عنزه يقودهم متعب بن فهد الهذال الى آبار اللطيف على مسيرة يومين من النجف كما ذكر فهد الهذال في ملاحظات له كتبها قبل موته في سنة ١٩٢٨ قائلًا : صادفوا قافلة تحمل بضائع من السماوة الى الاتراك ، فهاجمها ليچمن وهو على رأس فرساننا ونجح في أسر الرجال والاستيلاء على البضائع ثم ذهب الى بغداد مسروراً ... وما ان عاد ليچمن الى العشائر حتى وصله خبر مقتل مارشال وقد اكتشف بعد قليل ان الجماعة التي هجمت على باب الحاكم السياسي [مارشال] كان يقودها عطية ابو كلل [كذا] الزعيم العربي في النجف . وبعد مقتل مارشال لاذ عطية ابو كلل واعوانه ببادية الشامية في الجنوب والتجأوا الى عجمي بن سعدون ، رئيس المنتفك . فأمر الكولونيل [ليچمن] ولدي متعب بالهجوم على عطية وعلى جماعته وكان عددهم ١٢٫٠٠٠ من المحاربين الاشداء وكان ولدنا على رأس عشرة آلاف يرافقهم ليچمن . هاجموهم ودحروهم واستشهد ست مئة من رجالهم والسبب في ذلك قيادة الكولونيل ليچمن الشخصية . ولما رأى عطية ان المعركة كانت موجهة ضده هرب على حصانه الى الشنافية طالباً حماية حاكمها السياسي .

ذهب الكولونيل [ليچمن] بعد تلك الغارة الى بغداد ، وبعد مداولة مع ولسن ، عاد ليچمن وأمر بالهجوم مجدداً على عجمي السعدون أفضل عون لأعداء بريطانيا بين العرب ... كان عجمي

www.dorat-ghawas.com

مصدر خطر مستمر فجرد ليچمن حملة من آلاف المقاتلين من رجالنا وقادهم مع ابني متعب وانطلقوا يرومون القبض على عجمي وتتبعوه شهراً حتى هرب ودخل جبل سنجار وعبر النهر والتحق بالاتراك ...

اصبحت مسؤولية ليچمن عندئذ تمتد من منطقة كربلاء الى منطقة قبائل الدليم في اعالي الفرات .

ولكن اقوال فهد الهذال وادعاءه ان عطية ابو كلل كان على رأس المهاجمين لقتل الكابتن مارشال يذكرها كتاب « الثورة العراقية الكبرى » للسيد محمد علي كمال الدين بالقول : ان جماعة عطية ابو كلل استولت في شهر نيسان ١٩١٧ على قافلة تجارية لقبيلة عنزة الموالية للانكليز ، من جماعة فهد الهذال فاستاء الحاكم البريطاني واتهم عطية ابو كلل بالمتاجرة بالمواد المحرمة ... وان جماعة عطية ابو كلل اطلقت الرصاص على مفرزة هندية وقتلت جندياً وجرحت آخر . وبعد مرور شهرين على ذلك امر بلفور يطلب حضور عطية ابو كلل وكاظم صبي وكريم الحاج سعد اليه لمحاسبتهم عن قضية نهب قافلة عنزة فحصلت مشادة بينهم ، صفع كاظم صبي على اثرها بلفور فاطاح قبعته . عززت القوات البريطانية بقوات اضافية . واكتفوا بنفي ابو كلل الى البادية في أواخر ١٩١٧ . ولكن لچمن ، حاكم البادية الجديد ، اوعز الى صنائعه من عنزة ان يغزو ابو كلل على حين غرة فانتهبوا بيوته وجميع امواله وشتتوا عائلته وجماعته وبقي ابو كلل وحيداً في البادية فجاء الى الشنافية وتقدم الى حاكمها فاحاله الى محكمة الكوفة التي حكمت بنفيه ، ونفي اولاده الى الهند في أواخر ١٩١٧ كما ذكر آنفاً ، في حين ان مارشال قتل في ١٩ آذار ١٩١٨ يوم كان ابو كلل منفياً الى الهند . لقد ذكر فهد الهذال ذلك ليبرر عمليته تلك في الانتقام من عطية ابو كلل وجماعته ومن آل السعدون المناهضين للاحتلال الانكليزي بعد ان التجأ اليهم .

وصدر الأمر الى ليچمن بالالتحاق بجيش الجنرال كوب Cobbe في اثناء تقدمه نحو الموصل وكردستان . ووضعت طائرة تحت تصرف ليچمن لكي يبقى على اتصال بشيوخ عنزة وبعض الشيوخ الموالين في منطقة الدليم الذين تعاون بعضهم مع الاتراك ، وهي الآن تنذر بالخطر .

ولا يفوتنا ان نذكر ان الجنرال مود قد مات في تشرين الثاني ١٩١٧ في ظروف غامضة وتقارير متضاربة عن موته ، ولعله مات مقتولاً في اغلب الظن ، وظل السر مكتوماً .

توجه ليچمن ، بعد صدور الامر المذكور آنفاً ، الى الشرقاط واشترك مع ضباط آخرين في تطويق الجيش التركي المتراجع واسروا اكثر من ١١٫٠٠٠ جندي وعين ليچمن حاكماً عسكرياً على ولاية الموصل وظل يراقب نقاط القلق على الفرات ، فضلاً عن حكم أشد مناطق الامبراطورية العثمانية جموحاً وتمرداً على الحكم . وقبل التحاقه بالجيش المتوجه نحو الموصل على نهر دجلة قام بزيارة سريعة بالطائرة الى منطقة الدليم ، وأمر متعب الهذال بمهاجمة شمر ، ولكن متعب مات متأثراً بجروحه في المعركة . وعاد ليچمن في سنة ١٩١٩ بالطائرة من الموصل ليأمر محروث بن فهد الهذال الآخر للقيام بمهاجمة القبيلة نفسها التي كانت موضع ازعاج على طول نهر الفرات ، وحين كان محروث يلاحق شمر قام ليچمن باستطلاع من الطائرة فوجد ان شمر كانوا هاربين ودخلوا المنطقة التركية . فأمر محروث بالمودة ، على ما ذكر فهد الهذال .

وذهب ليچمن بالطائرة الى الجبال لتصحيح ما كانت تقوم به قبيلة كردية مناهضة .

وتنامت المعارضة في اثناء سنة ١٩١٩ وغدت تمرداً مكشوفاً . وقتل ثلاثة حكام سياسيين في كردستان هم : النقباء بيرسن و ويلي و ماكدونالد ، فقرر ولسن ان يتمتع ليچمن باجازة في بلاده ، وعين في محله موظفاً مدنياً من الهند له تجربة يمتد بها في تشرين الاول ١٩١٩ اسمه ج . هـ . هـ . بل . ولم يكن هذا ناجحاً في كبت نداءات الجهاد ، فقتل هو ايضاً على يد متمرد كردي خلال شهر من تعيينه . وبعد ذلك بأيام قتل الكابتن ووكر Walker ، صديق ليچمن .

وذهب ليچمن الى بلاده يصحبه خادمه حسن ولكنه تسلم برقية من ولسن في بغداد تطلب اليه العودة . فقد كانت البلاد في حالة اضطراب عظيم . ووجد ليچمن نفسه والدنيا قد تغيرتا . مات ابوه وشاخت امه ، وامتصت سنوات الخدمة العسكرية المتواصلة دون انقطاع حيويته وقوته ، ولم يكد يبلغ الاربعين ولكنه شعر بالشيخوخة ، بل بدا شيخاً مسناً .

في أواخر شهر كانون الاول ١٩١٩ استدعت دائرة الهند ليچمن الى لندن لتسند اليه الوكالة السياسية في الكويت ليحل محل شكسبير الذي قتل في معركة ضد ابن الرشيد ، ولكن ليچمن رفض الدعوة واعلن انه سيعود الى مناطقه الحربية لان العراق قد يكون على حافة انفجار هائل . وكان ولسن يعتمد عليه اكثر من غيره في زمن الاضطرابات .

عاد ليچمن الى العراق من لندن بسيارته الخاصة التي اشتراها في لندن ، وفي ٣ آذار ١٩٢٠ ذهب بناء على طلب ولسن الى الجبهة في الرمادي . ولدى وصوله مركزه الجديد ، كان القوميون العرب في دمشق والقاهرة قد اعلنوا فيصلاً « ملكاً على سوريا » واخاه عبد الله « ملكاً على العراق » . واجتمعت مجموعة من الشخصيات سراً في بغداد لاعداد صيغة للمطالبة بالاستقلال

www.dorat-ghawas.com

العربي . والتقت جرترود بل بممثل الجماعة في ما بعد واثنت على « مشاعرهم الودية » التي نقلتها الى الحاكم العسكري الجنرال ايلمر هولدين Haldane . A ، خليفة مارشال . وصدقتها القيادة العامة فابقت الجنود في التكنات . وتبع فيلبي Philby ، من ضباط ولسن الصغار ، ليچمن في نزهته في مناطق قبائل الدليم بشيء من الافتتان . ووصل ليچمن الرمادي ومنها ذهب ومعه حسن بالطائرة الى البو كمال حيث جبهة ولسن المتقدمة في حربه الخاصة ضد العرب ، كما يقول فيلبي : وقد وجد ستة ضباط قد قتلوا قبل عشرة ايام . فانتقم انتقاماً شنيعاً اذ قام ومعه جماعة من الجند وبعض الموالين له بقتل المتهمين وحرق عشرة أميال من الاكواخ ، وساق الماشية ودمر كل شيء وقع بصره عليه وأباد القلة من العرب الذين وجدوا الشجاعة الكافية في انفسهم لمقاومته . وقال عنهم : هم أسفل السفلة ، ولكنهم خطرون جداً ...

ويعود ليچمن مسروراً الى بغداد بعد ان لقن اشباه البدو درساً ، على حد تعبيره ، وقال : « سابقى هنا حتى اجعلهم تحت سيطرتي . وعندئذ ساعود الى الرمادي حيث « كارفر » وقلة من الضباط الذين لا تزيد اعمارهم عن ٢٥ عاماً » .

وبدأت الامدادات العسكرية تصل من بريطانيا والهند ، جنود صغار لا خبرة لهم بالحرب ، ليحلوا محل الجنود الذين سرحوا بعد الحرب . وارسلت هيئة المساعدين العسكريين القديمة الخاصة به ، وخيوله وكلابه من الموصل ليلتحقوا به والبقاء بصحبته في المنطقة القديمة التي عاد اليها .

في نهاية آذار كتب الى اهله : « اننا متورطون في متاعب عسيرة . ان السبب الذي يدعو الى وجوب بقائنا للسيطرة على هذا الوضع من العراق الذي انا فيه الآن يدفعني الى الخيبة . »

كان فكره مشغولاً بمسألة جمع الغرامات المفروضة على ابناء قبائل البو كمال التي يرفضون أداءها على الرغم من قصفهم بنحو منتظم بالقنابل التي يبدو انهم لا يعيرونها اهتماماً كبيراً .

وكان من نتائج محادثات السلام في باريس ومطالبة القوميين العرب أن دعيت بلاد الرافدين بالعراق ، وصارت المنطقة الممتدة من دير الزور الى البو كمال جزءاً من سوريا . ويبدو ان العراق كان جزءاً من مؤامرة اوسع واكثر تعقيداً مما يتصور المرء .

في ظل هذه الاوضاع كتب أحد رفاق ليچمن في الصحراء ، العريف فرانك ونك Frank Wing ان ليچمن اعتاد استخدام كثير من الاطفال الذين كان يدفع لهم مبلغاً ضئيلاً ، واستخدم رجلاً لتدريب جيشه من الخيالة للقيام بدوريات في الصحراء ومساعدته في جباية الضرائب ... وكانت له دائرة في الرمادي ، وأصبح جدار الحجرة التي يعمل فيها كالغربال من الرصاص الذي اطلقه العراقيون ليلاً ذات مرة ولم يصيبوه ... وخرج جنوده يتعقبون جماعة اغارت على اسلاك التلغراف على طريق دمشق وقطعوها ، والحقوا بهم وامسكوهم وقتل كثيراً منهم .

وفي ٣٠ أيار اخذ ليچمن ثلاث سيارات مدرعة لقمع معركة شجرت بين قبيلتين شرقي القائم .

وكتب العريف فرانك قائلاً : جاء الكولونيل ليچمن الى المعسكر في الرمادي باوامر سرية ، فقد قام بعض العرب المعادون باخذ ضابطين اثنين من ضباطه السياسيين رهينتين الى عانه وطلبوا مبلغاً باهضاً ثمناً لهما . اختار ليچمن ضابطين وستة جنود ، فضّل ان يكونوا غير متزوجين اذ لم يكن رجوعهم سالمين محتملاً لوجود آلاف العرب المقاتلين في عانة ونصحهم ان يكتبوا وصاياهم ان كان لديهم ما يتركونه ... فقد قرر ان تكون مهمتهم الضرب بعنف والقاء القبض على الخاطفين ... وانطلقوا ليلاً الى هيت قبل طلوع الفجر وجاء احد الجواسيس واخبرهم ان العرب حفروا حفرة عميقة فقطعوا الطريق الى حديثة . وقرر ليچمن الاختباء حتى المساء والقيام بدورة في الصحراء والاتجاه الى عانة . وفي الساعة الرابعة عصراً جاء مخبر آخر بتقرير ان الضابطين قد قتلا . لذا رجعوا الى الرمادي خائبين .

هكذا كان العمل اليومي لرجل هيمن على بادية الفرات والمناطق التي سيطر عليها اعداؤه خمس سنين قاسية . ولم يفش يوماً سر حقيقة طبيعة عمله حتى لعائلته .

وكتب هذا العريف يقول : انهم حين تركوا البو كمال كانت المنطقة بكاملها قد انتفضت وهجموا عليهم ولكن ليچمن وجماعته قاتلوهم بضراوة شديدة على طول طريق العودة الى عانة ، ٧٠ ميلاً . كان المهاجمون العرب في جميع ارجاء المنطقة في الوقت الحاضر وكنا في وضع نستطيع تسديد الضربات اليهم ... وكنت امضي ساعات في الجو امطر مخيماتهم بالقنابل ... انني لا ارى نهاية لهذا الاهتياج العظيم وعلى الرغم من انه عنيف ، غير مريح وخطير فانه أفضل من الجلوس في مكتب الادارة .

انتفضت العشائر في كل مكان من الشمال الى الجنوب وقتل مزيد من الضباط .

وقد اخبر ولسن الاستخبارات تحت عنوان : مساعدة مالية للمتطرفين » بانه « امسك الذئب من اذنيه » . ولكن وزارة الخارجية هي التي مسكت من اذنيها . فقد جاءتها احتجاجات نطالب بـ « فرص متساوية للمواطنين الاميركيين في مفاوضات امتياز النفط »

تجديد الانتداب البريطاني على العراق ... بناء مصفى للنفط شمالي بغداد واعادة النظر في امتياز حقول نفط الموصل .

www.dorat-ghawas.com

وقد أصبح الاستعمار النفطي صفقة منافسة في حلقة الاحداث المفرغة التي توشك ان تنفجر في اي لحظة في ثورة عارمة . وتدفع ولسن من الدائرة السياسية الى الترحيب بالسلاح القادم من شركة النفط الانكليزية ــ الفارسية .

وفي حزيران ١٩٢٠ رأى ولسن جمعية من خمسة عشر عضواً من ابناء بغداد تطالب بمجلس تاسيسي بدل الحكومة الموقتة على ان تضمن عصبة الامم ذلك ... ونقل ولسن خبر مقتل اربعة ضباط في تلعفر ، قرب الموصل . وطالب بزيادة جيش مسلح لجعل الانتداب فاعلاً ... فعُين پرسي كوكس مندوباً سامياً في العراق بدلاً من ولسن وصار يتلقى تعليماته من كيرزن Curzon . وطردت فرنسا حكومة فيصل من سوريا .

وقد قال ليچمن في اوائل تموز ان الاضطرابات مروعة في العراق ولكن فرقتي العسكرية مستتب الأمن في أرجاء نفوذها ... وأن الطريقة الوحيدة للتعامل مع القبائل الآن هي المذابح بالجملة في المناطق المتمردة .

واوضح ليچمن ذلك في رسالة الى عائلته قال فيها : اننا نعاني آلاماً مبرحة من صراع داخلي . إذ يبدو ان العراق جميعاً يحاربنا ، ولكني سعيد لان منطقتي ، التي اسيطر عليها برجال القبائل وهي تمتد ١٥٠ ميلاً من الرمادي الى الحدود ، هادئة . ليس لدي جيش ، كارفر وحده مع ٤٠٠ من السفاحين ، قاطعي الحناجر في عانة ، على بعد ١٣٠ ميلاً ، ولدي بعض الضباط المتناثرين في نقاط متباعدة .

وكتب ولسن : « يبدو ان ليچمن كان واثقاً مطمئناً لانه ما دام علي السليمان مسيطراً على الدليم فليس ثمة مشاكل خطيرة بين بغداد والفلوجة او الى شماليها . وقد ترك دائرتي في نحو الحادية عشرة من صباح اليوم التالي قائلاً : انه سيكون في الفلوجة في الساعة الثالثة ، وسوف يرسل لي برقية . واضاف انه اخبر الشيخ ضاري ان يقابله في خان النقطة في منتصف المسافة بين بغداد والفلوجة »

نتساءل لماذا ذهب ليچمن هذه المرة الى ولسن في بغداد ؟ ولماذا رتب لقاءه بضاري على الطريق ؟ ومتى حدد الترتيبات هذه ؟ .

ليس ثمة دليل في اي جملة من كلام ولسن ومن تقارير المخابرات ، فقد جاء مباشرة من الرمادي وليس ثمة ما يوحي انه التقى اياً من شيوخ الدليم في طريقه . ثمة اراء متضاربة بهذا الشأن ، يحسن الرجوع بشأنها الى كتاب الشيخ ضاري تاليف العلوجي والحجية .[٢]

ولا ريب ان ليچمن علم بشأن تكوين مجلس عسكري يكون حاكم بغداد العسكري رئيساً له ، ومعاونه نائباً ، وعضوين من الموالين واصدر أمراً بالقاء القبض على المندوبين الخمسة عشر الذين قدموا مطالبهم بشأن استقلال العراق فهرب من هرب والقي القبض على بعضهم وحكم على آخرين بالنفي خارج العراق ، وعلى جماعة اخرى بالاعدام[٣] .

اقول : لا ريب ان ليچمن يعلم بذلك لانه حين التقى الشيخ ضاري اخبره باعتقال الشيخ احمد الداود وهرب يوسف السويدي وجعفر ابو التمن ، فامتقع وجه الشيخ ضاري وبقي ساكتاً والكربة ترتسم على وجهه .[٤]

ذلك ان ليچمن على علم بصلة الشيخ ضاري بقادة الثورة واخباره بذلك كان تهديداً له واحباطاً لمعنوياته .

لم تكن منطقة الدليم منعزلة عن الثورة في الفرات الاوسط وفي بغداد فقد هبوا لمقاومة الاحتلال البريطاني وقلعوا سكة الحديد من جنوبي المحمودية الى شماليها واتهالت جموع الثوار على القطار القادم من بغداد الى الحلة بالرصاص وقتلوا من جند الانكليز اكثر من مئة وخمسين جندياً وغنموا كثيراً من السلاح والعتاد . ولما سمع ليچمن بتخريب السكة واشتعال الثورة في المحمودية وغيرها ، استدعى رؤساء العشائر في المنطقة فاستجاب له بعضهم ولكن الشيخ ضاري امتنع وتذرع بحجج مختلفة .

الكابتن وليمز مدير شرطة منطقة ليچمن كتب بعد سبع سنوات من مقتل ليچمن قصة مفصلة معقولة في جريدة الديلي ميل Daily Mail قال : « في ١١ آب أمضيت الليلة نائماً في خيمة الشيخ ضاري . وكان ضاري غائباً لحل بعض العنازعات العشائرية ولكني في الحقيقة وجدت في ما بعد انه كان يتداول مع بعض الشيوخ المعادين [لنا] . عدت في اليوم التالي الى الرمادي لتقديم تقرير الى الكولونيل ليچمن بان البلد قد هبَّ مستعداً للحرب . فانطلق الكولونيل ليچمن الى بغداد للتشاور مع مركز القيادة وفي طريقه بعث رسالة الى الشيخ ضاري انه يريد لقاءه في خان النقطة .

ولما عاد كان ضاري وولداه ، وحرس قوي من الفرسان العرب بانتظاره . وكان ليچمن وضاري منهمكين بالنقاش حين وصل تجار عرب قالوا : ن قافلتهم تعرضت للسلب ، فارسل الكولونيل ليچمن فوراً الاثني عشر رجلاً من الشبانة (الشرطة العرب) في النقطة لالقاء القبض على اللصوص ، وارسل ضاري ابنه الاصغر وثلاثين خيالاً لتعزيزهم . وبذلك لم يبق في الخان سوى حارس واحد ، واقترح الكولونيل ليچمن على ضاري ان يذهبا الى خيمة ضاري فقال ضاري ان الطريق رطب لا يتحمل سير السيارة ، فترك المركز وعاد مع ابنه خميس وبعض رجاله وامرهم ان يطلقوا النار على

www.dorat-ghawas.com

الكولونيل ليچمن وهو جالس داخل مركز الشرطة . قد تكون القافلة المنهوبة حقيقية إم غير حقيقية ، غير ان خيالة ضاري سيطروا على الشبانة في الطريق على بعد ميلين ، وانطلق ضاري وولداه مع مئتي خيال ... وهربوا اخيراً الى المنطقة التركية .

غير ان الشيخ سليمان بن الشيخ ضاري يلقي الضوء الحقيقي على دور والده في الثورة العراقية وعلى مصرع لچمن فيقول : ان لوالده الشيخ ضاري يداً في ثورة العشرين وكانت له مراسلات مع كربلاء والنجف وبغداد . وقد جمع لچمن ذات يوم رؤساء القبائل في الرمادي وكان ابوه معهم . وقال لچمن انه يود الوقوف على رأيهم لانهم يطالبون السلطات الانكليزية بقيام حكومة مستقلة فنهض ابي ليقول : يا لچمن ، ليس في ديننا سنة ولا شيعة ، نحن دين واحد وعراق واحد وكلمة واحدة واجماع على تشكيل حكومة وطنية ، فاذا لبيتم مطاليب الثورة فان الاستقرار والامن يسودان العراق ، وانني في موقفي اخاطبك بلسان المجتمعين ...

وغضب لچمن وحقد على أبي . وبعد مرور شهر او اقل ارسل لچمن رجلين من الشبانة لتبليغ ابي بوجوب مقابلة لچمن صباحاً في مخفر (ابو منيصير) بجوار خان النقطة . واعتذر ابي ... وفي ضحى يوم الخميس ١٢ آب ١٩٢٠ وافق ابي على مقابلة لچمن . وتحرك الى خان النقطة بصحبة أخي خميس وابني عمي مجباس : صعب وصلبي وانا وجماعة من زوبع ... وكان مجموعنا عشرين نفراً .

ثم يروى الشيخ سليمان كيف بلغت المشادة بين لچمن والشيخ ضاري واهانته له .. ولما خرج من باحة المخفر الى المجاز القريب من الباب الرئيس اقتحم سليمان وجماعته المكان فامطروا ليچمن بثلاث طلقات الى راسه وكتفه وظهره . واراد ليچمن ان يختطف بندقية من المشجب القريب ولكنهم أصلوه بثلاث طلقات أخرى وأردوه قتيلًا ، ثم اجهز الشيخ ضاري عليه بضربة سديدة الى رأسه .[٥]

وعلى اثر مقتل ليچمن هبت عشائر زوبع واحلافهم لمجابهة الانكليز واحلافهم الذين استعملوا الطائرات والمدافع واسقط الثوار طائرة واسروا ضابطين كانا فيها . وكلف الانكليز فهد الهذال بالتوسط لدى الشيخ ضاري باطلاق سراحهما ، واستجاب الشيخ ضاري لطلب فهد واطلقهما .

وهدد علي السليمان الشيخ ضاري بالخروج من ديار الدليم وسحب جيشه منها خلال اربع وعشرين ساعة[٦]

واتسعت شرارة الثورة في كل مكان في الجنوب والوسط والشمال ، المنتفك وكفري وقتل ضابط آخر اسمه سالمون في الكوفة ، ووثارت الحلة ، وسامراء ، وديالى ، وأماكن اخرى .

ولكن الجيش البريطاني واتباعه قاموا بقصف قلعة الشيخ ضاري قرب خان النقطة واقترفوا اعمالًا عدوانية رهيبة فاحرقوا قرى زوبع ، وخيمهم ، وقرى وخيم احلافهم وقتلوا النساء والاطفال ..

وقال هولدين : لو كان بعض شيوخ منطقة الدليم واتباعهم مشتركين بالثورة لاثر الثوار في موقف الحكومة البريطانية ، ولكانت بغداد في خطر عظيم مؤكد.

وانسحب الشيخ ضاري واولاده ورؤساء قبيلته ، وامر ولديه بالذهاب الى الشمال ، اما هو فقد ذهب الى الوند .. قرب كربلاء ثم الى النجف ومنها الى الشامية واختفي بهم حيثما حلوا ... واخيراً اتجهوا نحو الجزيرة حيث كانت زوبع على ابلها ورحلوا جميعاً الى مناطق شمر في الشمال قرب سنجار حيث استقروا هناك .[٧]

وهكذا تمكن الثوار العراقيين من قتل ليچمن ليكون عبرةً لمن يريد ان يدنس ارض العراق ، ويتنكر لمطالب ابناء العراق والامة العربية المشروعة في التحرر والاستقلال .

الهوامش

Leachman : « OC Desert » by H . V . F . Winstone

٢ ــ الشيخ ضاري قاتل الكولونيل لچمن في خان النقطة تاليف عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية ، مطبعة اسعد ١٩٦٨ ، ص ص ٤٩ ــ ٥٧ .

٣ ــ الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ تاليف السيد محمد علي كمال الدين ، مطبعة التضامن ، منشورات دار البيان ١٩٧١ ، ص ص ٢٢٠ ــ ٢٣١ .

٤ ــ الشيخ ضاري ، العلوجي والحجية ص ٥١ .

٥ ــ الشيخ ضاري : العلوجي والحجية ، ص ص ٤٩ ــ ٥٤ .

مصرع الكولونيل لچمان ، عبد الجبار العمر ، دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦ ص ١١٢ واماكن اخرى .

٦ ــ الثورة العراقية الكبرى ، محمد علي كمال الدين ، ص ص ٢٥٨ ــ ٢٦٠ .

٧ ــ الشيخ ضاري ، العلوجي والحجية ص ص ٦٩ ــ ٧٠ .

www.dorat-ghawas.com